

جاء على صفحة أحد الأعراء النداء أدناه:

أقتبس: "أيها الشباب والشبان،

ان الشريك في الوطن، هو الاخ الحقيقي لكم، الثابت في العيش معكم في الماضي والحاضر والمستقبل، والأقرب الى همومكم ومصائبكم وتطلعاتكم، ما يجمعكم به أكثر بكثير مما يفرق، فانظروا دوماً الى النصف الملائن، واجاهدوا لكي لا يتحوّل الاختلاف في ما بينكم، بالفكر والدين وخيارات العيش، الى عداوة قاتلة لن ترحم أحداً منكم، فالنار ستلتهم الجميع. المحبة الصادقة والانسانية المتألقة هما ما يجب أن يجمع، قبل الانتماء والأفكار والمعتقدات". انتهى الاقتباس.

إلى إخوتي في النضال من أجل السلام،

وعبر هذا النضال الحفاظ على الوجود المسمى بمسيحي، وهو الذي يحوي على ديانة مسيحية محاطة بثقافة وحضارة، وأنتم يا إخوتي سبقتونا بأشواط حيث منكم من كان على الجبهات وعلى الأرض بعد سكوت المدفع،

ولا أرب بالاستفاضة أكثر بتقديري لعملك المستمر فمنكم من يعرفني جيداً،

أكتب لكم نقداً بناءً لما ورد أعلاه، لأنني بت مقتنعاً أن أكثر ما يعيق نجاح النضال المذكور، أي تحقيق السلام، هو عدم نقاوة التشخيص، كي لا نقول الخطأ فيه،

الذي بدوره، أي عدم النقاء، هو بسبب الأفكار المتوارثة التي سكنت واستقرت في الأذهان، لكن بقي الوجدان عصيّ عليها.

ولو خرقت الوجدان، لكنا اليوم منصهرين، كلبانيين بين بعضنا البعض، وبالتالي لما برزت مقاومة عام ٧٥ ولما برزت أي مقاومة سابقاً لدى أي محاولة صهر...

ففي لبنان، صمد مسيحيوه عسكرياً مدة ١٤٠٠ عام، وأنتم الأدرى بذلك... وتعرفون ضد من... ليس تحديداً ضد الأمويين أو العباسيين أو المماليك أو العثمانيين، بل ضد المسلمين، حيث المسلمون في لبنان لم يتحالفوا مع المذكورين آنفاً أي المحيط بل كانوا هم، مع المذكورين، "المحيط"، الذي كان "الدولة الإسلامية" بالأسماء المذكورة (الأمويين أو العباسيين أو المماليك أو العثمانيين) بغض النظر عن صلاحيات الخليفة المخطوفة أحياناً أو الصراعات الإسلامية الداخلية. ولا عيب، فهذا هو التاريخ... فلنشرب الكأس المر... ولنقل الأمور بصراحة حيّة.

(١) تقولون "ان الشريك في الوطن":

من هنا أبدأ بالتمييز بين بلد ووطن مروراً بـ "شعب": مصطلح شعب يحتمل تعريف إداري وتعريف سوسولوجي. الوطن (من "موطن") هو مساحة جغرافية يمارس ضمنها شعب متجانس اجتماعياً (قوم) حريته وفق هويته (أي "شعب" لناحية السوسولوجيا: مثلاً: الأكراد). البلد يعطي جنسية لـ "شعب" لناحية الإدارة والقانون: مثلاً الدولة السورية تعطي حالياً الجنسية لجزء من الأكراد؛ لم تكن هذه الحال سابقاً وقد لا تكون لاحقاً. قد يطابق البلد جغرافية الوطن. لكن الوطن الكردي هو عابر لعدة بلاد / دول (إيران - العراق - سوريا - تركيا). الوطن هو لشعب (أي قوم / إثنية / أمة) بغض النظر عن أية جنسية. هذا بغض النظر عن أقليات هنا وهناك، فالكل يعرف أن في لبنان "عمقين" لهوينين أساسيين.

(٢) تقولون "هو الاخ الحقيقي لكم":

الشريك في - سنقول إذن - البلد (وليس الوطن)، ليس الأخ الحقيقي (وقد يصبح لاحقاً، لا مستحيل). أقولها وبكل محبة وإرادة سلام وغفران: الشريك هو من نحن بصراع مستميت معه على الوجود الحر بكامل أبعاده: سياسياً، اجتماعياً، قضائياً، تربوياً، انسانياً (اختلاف في النظرة إلى حقوق الإنسان...): أولاً نعرف أن لبنان وقع على "شرعة حقوق

الإنسان في الإسلام" عام ١٩٩١، في القاهرة (السنّة)، التي وضعت بطلب من إيران (الشيعة)، ردًا على شرعة حقوق الإنسان الموقع عليها عام ١٩٤٨ التي اعتُبرت نابعة من الإرث "اليهودي - المسيحي" (ونتحفظ على هذه العبارة)؟ بغض النظر إذا يتم تطبيقها (شرعة الحقوق في الإسلام) أو لا. وهل يجب أن نقيم إختوتنا بالإنسانية، المسلمين، إذا ما أرادوا تطبيقها على أنفسهم؟ إذا الجواب نعم، فنحن إذن نبتعد عن السلام...

(٣) تقولون "الثابت في العيش معكم في الماضي والحاضر والمستقبل":

هل بالفعل الشريك "ثابت في العيش معنا في الماضي والحاضر والمستقبل"؟ منذ ١٤٠٠ عامًا حتى اليوم، هو متواجد على أراض هويتها العامة اليوم ليست بهويتنا. بين ١٩٢٠ و ١٩٤٣، كان رافضًا العيش معنا، ولا وألف لا ملامة عليه! عام ١٩٤٣، أجبرناه عبر بعض ممثليه بالرضوخ لفكرة "لبنان بلد واحد لنا جميعًا"، فانتفض عام ١٩٥٨ ثم ١٩٦١ ثم ١٩٧٥، وسكت عن السوريين حتى ٢٠٠٥ لجزء منهم، ويناصر الإيرانيين لجزء منهم... لا، لم يُخنّا عندما وقف مع الفلسطينيين المسلمين (والعرب كما يقال) ولاحقًا السوريين المسلمين (والعرب كما يقال) وقبلها مصر الناصرية المسلمة (والعربية كما يقال) (بغض النظر عن أجواء مبرّجة بالعلمنة يبقى فيها دين الدولة الإسلام وكل شعوبها غير علمانية).

فقد سلخنا مسلمي لبنان عن إختوتهم في الأمة، فهم ليسوا من ديانة واحدة فقط، بل من دنيا واحدة أيضًا، أي من ثقافة واحدة، هم قوم / إثنية / أمة واحدة بالفعل للاحية السيوسولوجيا، أي شعب واحد، بغض النظر عن الخلافات الإثنية والطائفية التي يعاني منها المسلمون عالميًا للأسف، وقد عاشوا في دولة واحدة مقسمة إلى نطاقات إدارية (وأحيانًا انقسمت إلى "دويلات") بقي رأسها الخليفة، ولو بالاسم أحيانًا. طبعًا لا ننفي أمور مشتركة بين اللبنانيين جميعًا، وأخرى بين اللبنانيين والمحيط، فمعظم مسلمو المحيط هم سابقًا مسيحيين أبناء الحضارة الكنعانية والشعوب المحيطة بها، ومسلمو لبنان هم سابقًا كنعانيون ويختلطون باستمرار بوجود مسيحي فاعل منذ ١٠٠ عام لا بل منذ أيام فخر الدين، ناهيك عن وجود مسيحي أقلوي في المناطق المسلمة. لكن الاختلاط البناء والمُحبذ لا يعني الانصهار، وإلا لما وقعت الحروب، وإن أخذت تلك الحروب أشكال عديدة على الهامش (شرق / غرب، فينيقي - لبناني / عربي، رأسمالي / اشتراكي - شيوعي...).

أما فيما خص "الحاضر"، كان المسلمون ضد اعتبار سوريا احتلالًا، حتى وقعت مصيبة ٢٠٠٥ (أقول بمصيبة لأنني لا أتمنى ما حصل حتى لعدوي). إنما السنة (وكل المسلمين أيضًا) حتى اليوم يظلّون يقولون ب"وصاية سورية وليس احتلال"، وما زال معظم الشيعة لا يلتقون معنا في الأمور الكيانية الأساسية.

ومن يضمن المستقبل إذا ما برزت دولة سنية الهوى في سوريا؟

(٤) تقولون "والأقرب إلى همومكم ومصائبكم وتطلعاتكم":

نعم، المسلمون هم الأقرب إلى همومنا ومصائبنا وتطلعاتنا طالما هي الكهرباء والماء والتلوث والوضع الإقتصادي والمالي والفساد والعلم والاستشفاء... لكننا لا نلتقي للاحية التطلعات الإجتماعية، أكرر، بغض النظر عن الإستثناءات.

(٥) تقولون "ما يجمعكم به أكثر بكثير مما يفرّق، فانظروا دومًا إلى النصف المألّن":

ما يفرّقنا، سواء كان أكثر أو أقل مما يجمعنا، كان كفيل بعدم الانصهار، وهذا ليس بعيب! لذا توجب النظر أولاً إلى النصف الفارغ، لأن إهمال الماضي يوقع المستقبل في مشاكل جمّة، ومن ثم النظر إلى النصف المألّن: أول نصف يمنع الصدام، والثاني يسمح بالاختلاط!

٦) تقولون "وجاهدوا لكي لا يتحوّل الاختلاف في ما بينكم، بالفكر والدين وخيارات العيش، الى عداوة قاتلة لن ترحم أحداً منكم، فالنار ستلتهم الجميع":

تقولون أننا "يجب أن نجاهد كي لا يتحول الاختلاف فيما بيننا إلى عداوة قاتلة لن ترحم أحداً منا بالفكر والدين وخيارات العيش، فالنار ستلتهم الجميع"، ولكن أولسنا في "عداوة قاتلة لـ ترحم أحداً منا بالفكر والدين وخيارات العيش، وقد التهمت النار الجميع"؟ من هذا المنطلق، علينا أن نجاهد كي يتحول الاختلاف إلى اختلاف على أساس "المحبة الصادقة والإنسانية المتألفة"، حب الآخر كما هو، وقبوله بأن يعيش كما يحلو له إلى جانبنا (والعكس صحيح)، لننتقل من محاولة العيش "الواحد" المشترك إلى التعايش، لتكون رسالة البلد الذي اسمه لبنان، على نطاق الأرض التاريخية التي اسمها لبنان، رسالة تعايش وليس رسالة عيش مشترك.

٧) تقولون "المحبة الصادقة والإنسانية المتألفة هما ما يجب أن يجمع، قبل الانتماء والأفكار والمعتقدات":

المحبة الصادقة والإنسانية المتألفة لا يمكنهما أن تسبقان الانتماء والأفكار والمعتقدات: بالحد الأدنى تتقدم المجموعتان سواسية. "فماذا نفع الإنسان إذا ربح العالم وخسر نفسه؟" "فليكن كلامكم نعم نعم لا لا"، وها أنذا قد قلت، بكل محبة، احترام وتقدير!

دمتم أيها السادة الكرام.

د. مارك الأشقر،

٢٠٢٢/٠٥/٢٠

ملاحظة: إنّ أشهر صورة "عيش مشترك"، التي تجمع كنيسة مار جرجس ومسجد الأمين في وسط بيروت، التي استخدمت في النداء أعلاه، لها قصة عداوة مريرة ولو أنها سطحية: فبعد أن تم تشييد مأذن أعلى من القبة (عن قصد؟)، اغتاز الإكليرس المسيحي ورفع القبة لتساوي المأذن ارتفاعاً... وتلك هي الصورة التي استُخدمت في المنشور، أقول هذا كي لا أفهم خطأً لناحية ظهور الصليب أعلى من المسجد!

